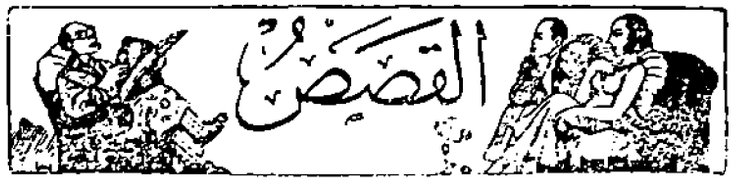

أسطورة من الأدب الروسى :

الخـــير والشر ...!

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

[مهداة إلى أستاذنا الفاضل محمود الخفيف]

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسي

[من الهدى والتوفيق أن تنقل هذه القصة الرفيعة إلى العربية فى الحين الذى يقوم فيه الأديب الكبير الأستاذ محمود الخفيف بترجمة رائعة لحياة ذلك الفيلسوف الذى ذاعت شهرته الأدبية وشاعت عبقريته الفلسفية فى جميع أنحاء العالم، وترجمت كتاباته وقصصه إلى معظم اللغات فى مختلف البلدان ... وقد سبق لنا أن قدمناه إلى قراء « الرسالة الغراء » فى قصة « الملاك » التى نشرناها تباعاً على صفحاتها فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦

وفى هذه القصة التى تتنازعها عوامل الخير والشر ، وتضطرب فيها دوافع الحق والباطل ... نلتقى بعبقرية تولستوى الفذة وعقله الجبار فى خير ما سطره يراعه فى تمجيد الفضيلة ورفعتها ! فهو يجلو لنا فى ثنايا هذه القصة صفحة بارعة من الحلم والتسامح والعفو وضبط النفس التى تنزع بالمرء إلى ركوب متن الشطط والغى ... وقد رأينا أنه من الأفضل أن نتناول عنوان هذه القصة بالإيجاز والتحوير لطوله ... فهو فى الأصل الذى نقلنا عنه « Evil allures, but good endures »] .

« م . جميل »

حدث فى الأيام التى خلت وطوتها صفحات الدهر منذ القدم ... أن كان ثمت رجل رضى النفس طيب القلب جليل الشأن عظيم القدر ... أقبلت عليه الدنيا وأتاحت له وفراً فى ماله فملك الضياع والديار ... وراح يعيش فى ثراء ورغد ، ومن حوله جمع من العبيد يقومون على خدمته ويتولون قضاء حاجته . وقد بثهم سيدهم من الود وأخلص لهم من العطف ما جعل أفئدتهم تخفق بحبه وألسنتهم تلهج بحمده . !

وراحوا يتيهون بسيدهم فخراً وزهواً ، ويغبطون أنفسهم على هذا الفضل وهذه النعمة ويعربون لجيرتهم عن مبلغ هنائهم قائلين :

« لم تطلع الشمس على من يضاهى سيدنا فى طيبته ورقة عاطفته ... فهو يطعمنا إذا ما أدركنا الجوع ، ويخلع علينا من الثياب كل طريف ومن الأبراد كل جميل ، ويهيىء لنا أعمالا تتفق ومقدرتنا وقوتنا ... وما تلفظت شفتاه يوماً بكلمة سوء يرمينا بها ولا بيت لنا حقداً ولا ضغناً .. فما هو كالسادة الآخرين الذين يذيقون عبيدهم هول العذاب ويقسون فى عقابهم سواء أحق عليهم أم لم يحق . ! ولا يحنون عليهم بكلمة عطف ولا يواسونهم إذا ما مسهم الضر ... أما سيدنا فقد وهبه الله قلباً يتمنى لنا الخير ونفساً ترجو لنا السعادة ... نحن لا نأمل فى حياة أهنأ ولا أرغد من هذه . ! » .

فضاق الشيطان ذرعاً بذلك الحب والود الذى يكنه العبيد لسيدهم ، فعمد إلى واحد منهم يدعى « ألب » فسخره ليوغر صدورهم ويشيع بينهم الفتنة والعصيان ويسرب إليهم الفساد ...

وبينما هم جلوس ذات يوم يتناقلون حديث العطف والكرم الذى يسبغه عليهم سيدهم ويحوطهم بفضله ... رفع «ألب» صوته قائلا فى خبث ودهاء : « إن من الغباء والحمق أن تفرق سيدنا بهذا الحمد ونحيطه بتلك الهالة من المديح ... وهو لا يستحقها . فالشيطان قدير وكفيل بأن يكون كيساً رقيق الحاشية معكم إذا ما أديتم له كل ما يروم ! . فنحن نخدم سيدنا فى وفاء وإخلاص ونحقق له كل ما يساور نفسه ويراود فؤاده من بغيات ... فما الذى يسعه سوى أن يكون رحيماً كريماً منا ؟! . دعونا نحاول أن ندفع إليه ضرراً ما ثم ننظر ما يكون من جلية أمره ... وإنى لعلى يقين من أنه لا يفضل أقرانه السادة . فلسوف يلقى إساءتكم بمثلها بل بأشد منها ... » .

فانطلق بقية العبيد ينكرون هذا القول ، ويدرأون الشبهات عن سيدهم وولى نعمتهم ... بيد أنهم ما لبثوا أن عقدوا فيما بينهم رهناً مع « ألب » الذى أخذ على عاتقه أن يثير حفيظة سيده

ويلهب غضبه ... وقد تعهدوا بأن يدفعوا إليه بالثياب التي يحرمه منها سيده ، ويقوموا مدافعين عنه أمامه أو يعمدوا إلى إطلاق سراحه إن حبس أو غل بالقيد !.

كان «ألب» راعياً مسئولا عن فوز من الغنم النادرة الغالية التي يعتز بها سيده ...

وفي اليوم التالي حينما أقبل سيده في صحبة من أضيافه ليريهم ويمتع ناظرهم بتلك الأغنام الكريمة ... غمز « ألب » بحاجبه رفاقه وكأنه يقول لهم « انظروا الآن إلى أي حد سأثير غضبه وحنقه ! . » .

وتجمّع العبيد يمدون طرفهم من فوق سياج المرعى! وتسلق « الشيطان » شجرة سامقة حيث استقر فوقها وراح يرقب ما سوف يعمله « ألب » خادمه ورسوله . !

وتهادى السيد مع صحبه يعرض عليهم شياهه وحملانه ... وانثنى يقول لهم وقد رنّ في صوته جرس الإعجاب والزهو: « إنها جميعاً كريمة نادرة ، ولكن بينها كبشاً أصوف أعقص القرن — لا يقدر بمال — أعتز به كما أعتز بعقلي ! . » .

وشاع الاضطراب بين حشد الأغنام ، فانطلقت تعدو إلى جهة أخرى من المرعى ، فلم تهز الزائرين سانحة لرؤية ذلك الكبش الذي نوه صاحبه بجلال قيمته وعظم شأنه ...

ولم تكد تستقر الشياه في مكانها حتى أثارها « ألب » من جديد فعادت تجري إلى كنف آخر ، وهي تضطرب فيما بينها ، وفوّت على الزائرين نهزة اجتلائها وتبيّن الكبش . . فلم يجد السيد بداً — وقد أدركه العناء وبرح به الإعياء — من أن يدعو « ألب » قائلا : « أرجوك أن تحول بين ذلك الكبش الأعقص القرنين وبين الهرب وأمسك به معتنياً حتى تتاح لنا رؤيته » !

ما كاد السيد يقول ذلك ، حتى انطلق « ألب » بين الشياه كالأسد الذي يسعى بين رعيل من الظباء ! . وقبض على صوفة الكبش في عجلة وتناول رجلا من أرجله فلواها في شدة حتى تهشمت عظامها وصارت له قعقعة الضعن اليابس حينما يطؤه الإنسان . . لقد حطم ساقه وجعله يخر على الأرض وهو يثاج ويئن في ألم . .

ثم لم يلبث « ألب » أن أمسك برجل أخرى وحاول أن يلحق بها ما أصاب صاحبتها !

فصاح الزائرون في جزع ، وهتف العبيد في هيمة وفزع . وطرب الشيطان وهو قابع في مكانه على الشجرة ، وهلل فرحاً لما رأى من نجاح خادمه وهو يسعى لإثارة سيده ! وتقطّب جبين السيد وعلتْه كآبة سوداء تنذر بعاصفة هوجاء ، وزمهرت عيناه وقد انقد فيهما لهيب الغضب والحنق والسخط . . وقد كاد أن ينشق من الغيظ . . بيد أنه طامطأ برأسه ولم ينبس ببنت شفه . .

ران الصمت — ولكنه صمت رهيب — على الأضياف وعلى العبيد وقد تعلقت أنفاسهم يترقبون ما سوف يتمخض عن هذه الجناية على الكبش الكين الذي لا يُلفى له نظير !

وبعد هنيهة من السكون ، هز السيد كتفيه وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على قلبه ... ثم لم يلبث طويلا حتى رفع رأسه ومد بصره إلى الأفق البعيد مستغرقا في فكره لا يريم . !

وبغتة . ! غاب التقطب عن صفحة جبينه وانفرجت أسارير وجهه وهدأت نفسه وقد عصف بها الاضطراب ... ونظر إلى « ألب » في عطف وعلى ثغره ابتسامة عذبة ... وقال في صوت رقيق شاعت فيه الوداعة والطمأنينة :

« إيه ... يا ألب ... لقد أغواك صاحبك الشيطان بإثارة غضبي ولكني سوف أخيّب مسعاه وأثير غضبه هو ... فلست بحانق عليك ولا ساخط منك ... إنك لتخشى عقابي وتداعب نفسك أمل في أن أعتق رقبتك ! . فاعلم - إذن — أني لن أمسّك بسوء ، كما أني — أمام هؤلاء الأضياف وتحت سمعهم وبصرهم — أطلق حريتك ... فاذهب أينما شئت ... فأنت حر من هذا اليوم . ولك أن تحمل معك ما تود من ملبس وطعام . »

* * *

وانثنى السيد عائداً مع رفقته إلى داره في هدوء وبشر أما الشيطان — وقد باء مسعاه بالخسران المبين — فقد هوى من فوق الشجرة ... وغار في الأرض ...

(القاهرة) مصطفى جميل مرسي

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٧

لقد شرعت المصلحة فى إصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٧ .

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الأقبال على الاعلان فيها شديد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا :

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة محطة مصر

مطبعة الرسالة